تأمــلات فلسـفية فــي القـــيم الروحية للشعر الأندلسي (الحياة والموت أنموذجا)

أ.م.د. محمد شهاب العاني
محمد جبار
جامعة الأنبار – كلية الآداب

المقدمة

التأمل ظاهرة معروفة في شعرنا العربي القديم، وهي تدل على مدى ما وصل إليه الفكر العربي من تطور ونضج ووعي. وهو صفة إنسانية نجدها لدى الفيلسوف والصوفي كما نجدها لدى الشاعر . وان كان يختلف عند هؤلاء من حيث الوسيلة والطريقة إلا انه يتفق من حيث الغاية المعرفية وهي البحث عن الحقيقة . فالفيلسوف –مثلا– جعل العقل نبراسا يهتدي به وسلاحا يعتمد عليه في عملية الكشف عن جوهر الاشياء (١) . أما الصوفي فقد جعل من القلب إماما يهديه الى أسرار الحياة ، ووسيلته في إدراك الحقيقة ، لأنه يرى ان العقل عاجز عن تفسير قضايا الحياة والكون (٢) ، أما الشاعر فقد اعتمد الحدس والتخييل في تأملاته والانغماس والتفاعل مع موضوعه.

وما دام الشاعر كائنا اجتماعيا وروابطه مع الاخرين ويعيش الحياة وتناقضاتها ويعاني متاعبها ويتوجع بألامها ويفجع بمصائبها. وما دام هناك موت وفناء بعد هذه الحياة فان هناك وقفات وجدانية وتأملات كونية وحكم وعبر. لذا حمل الشاعر الاندلسي قصيدة أفكاره ونظراته في الحياة والكون والموت والدنيا والدهر والزمن والأيام وغيرها من القيم الروحية والقضايا والمشكلات الاجتماعية التي لايخلو منها أي ديوان شعر أندلسي وأي فن شعري ولا سيما فن الرثاء ، إذ جاءت مراثيهم وهي تحمل بعدا فلسفيا تضمن الحديث عن مشكلة الحياة والموت والبقاء والفناء. إذ كانت هذه الموضوعات تثير خواطر وأفكار ا فلسفية متشعبة تدعو إلى التفكير في هذه المشكلة الإنسانية الخالدة وتذكر الماضين الذاهبين(٣)، وكثيرا ما اقترنت الحكمة بتلك الأشعار التي تضمنت هذه القيم الروحية والقضايا الإنسانية التي شغلت بالهم كثيراً عانوا من مشكلاتها وتأملوا اسرارها وذلك لمناسبة المقام لمثل هذا النوع من الشعر ولان شعر الحكمة ((يصور إلى حد كبير هموما والاما من نوع خاص ، تعكسها الحكمة ولو بصورة غير مباشرة))(٤)، فالشاعر يحاول من خلال تلك الاشعار ان يقدم خلاصة أفكاره وتجاربه التي مر بها وأدرك تفصيلاتها في هذه الحياة بعد ان ذاق حلوها ومرها، وعاش أيامها ولياليها وخبر الناس فيها وعرفهم على طبيعتهم، وعانى من غدر الزمان وصروف

الدهر وتقلباته فخرج الشاعر محملا بتجارب وأفكار تثري عقله وتغني تجاربه ومن ثم قد تثري وتغني تجارب الآخرين، الا ان هذه الأفكار والتأملات والحكم قد اختلفت ضعفا وقوة من شاعر إلى آخر فمنها ما كان ساذجا بسيطا يعتمد التجربة السطحية فقل تأثيرها وفاعليتها، ومنها ما كان عميقا يستند إلى قوة التجربة وصدقها ،قد توفر فيها العمق والأصالة وسعة الرؤية الذاتية او معاناته اليومية كحصيلة لمعايشة الشاعر وتجاربه(٥) ، لان خير الشعر كما يذهب القرطاجني (٦٨٤هـ) هو ((ما صدر عن فكر ولع بالفن والغرض الذي القول فيه مرتاح للجهة والمنحى الذي وجه إليه كلامه...))(٦) فالمعاناة الحقيقية أو الممارسة الفعلية للتجربة الشعرية لها اثرها الكبيرفي عمق التجربة واصالتها ، لذا عدها بعض النقاد أصل كل نتاج ادبي فيقول: ((ان اصل كل تأليف أدبي هو تجربة مارسها المؤلف))(٧) وان كان هناك من النقاد يرى انه ليس من الضروري ((ان يكون الشاعر قد يعاني التجربة بنفسه حتى يصفها بل يكفي ان يكون قد لاحظها، وعرف بفكره عناصرها، وامن بها، ودبت في نفسه حمياها))(٨) ومما لاشك فيه ان مثل هذا الراي اكثر ما يصدق على بعض الموضوعات والاغراض الشعرية مثل المديح والوصف، اما فيما يخص موضوع دراستنا فلا بد من توفر التجربة الحياتية والمعاناة الحقيقية ليتسنى للشاعر ان يعبر عن فلسفته تجاه ما اصابه وما يعانيه، وما تعلمه من ذلك ، فهناك فرق كبير بين شاعر اكتوى بالالم من غدر الزمان والناس ، وتقلب احوال الدنيا، وصعوبة العيش ، او عانى الام السجن او ذل الاسر واخر لم يعان ذلك كله، وقديما قال ارسطو: ((والحق ان اقدر الناس تعبيرا عن الشقاء من كان الشقاء نفسه))(٩) فالمعاناة الحقيقية توثق الصلة بين الشاعر وموضوعه وتجعلها اكثر عمقا وتفاعلا وينعكس ذلك بوضوح على نتاجه الشعري الذي سنقراه اذ اننا سنشهد – بدون شك– ولادة عمل جيد نشعر به ونتفاعل معه وكأنه يهمنا ويمثل بعض جوانب حياتنا وافكارنا.

الحياة:

مثلما احب اهل الاندلس الدنيا وتعلقوا بها أحبوا الحياة وعاشوا كل تفاصيلها ومارسوا مفرداتها بكل نشاط وحيوية وسعوا جاهدين بكل ما يمتلكون من طاقة ومعرفة الى المحافظة عليها بالشكل الذي يتمنونه ويرضونه فتمسكوا بها واقبلوا عليها بنهم وظمأ محاولين الاستمتاع بلذائذها، فبدأ الاندلسي اكثر شغفا وتعلقا بالحياة لان بلاده تميزت بانتشار وسائل اللهو والمتعة كمجالس الغناء والرقص والخمر، ومجالس الادب.

الا ان هذه الحياة كانت –ومازالت– مرهونة بالحدث الخطير الذي يهددها على الدوام والمتمثل بشبح الموت، اذ ان الحياة بطبيعتها لايمكن ان تسير الا بوجود الموت الى جانبها وكأنها لاتظهر الا من خلاله. فهي تسير بالانسان من دون كلل ووجهتها المنايا دوما والانسان فيها لايملك حق الاعتراض والسؤال، يحيط به الظلام لايعرف الكثير عنها لتبقى ذلك السر الغامض الذي لم ير الانسان فيها منذ كان الا الفناء واللحود(١٠).

وقد دفعت الحياة الشعراء الى التفكير والتأمل فيها متأملين حاضرها ومستقبلها، فاتجه تفكيرهم في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الاقدار ونزول البلاء، وضعف الانسان بازاء مصائب الايام(١١)، فشكلت الحياة بذلك ركنا من اهم اركان التامل وادب الحكمة(١٢) واستطاع الشعراء بشعورهم المرهف ان يتذوقوا حلاوة الحياة ومرارتها، فجاءت وقفاتهم الوجدانية معالم طريق لمعرفة مواقفهم من مسألة الحياة وترجموها صورا، بحيث كانت طاقاتهم الفكرية والذهنية تصب في لوحاتهم الشعرية لتكشف لنا عن نظرات فلسفية وتأملات فكرية مختلفة.

وقد انقسم الشعراء في تأملهم للحياة الى ثلاث اقسام:

١– شعراء لجأوا الى الزهد والتقوى في الحياة ايمانا منهم انها قصيرة زائلة، فراحوا يدعون الناس الى التخلي عنها وعن لذاتها ويخوفونهم العذاب، وهذه النظرة اساسها النزعة الدينية التي تؤكد زوال نعيم الحياة، وهذا ما ولد لديهم موقفا سلبيا من الحياة يتمثل في تصوير تقلباتها وغدرها بصاحبها، وقد تميزت هذه النظرة بضيقها لانها لا تصور الا الجانب المعتم من الحياة مهملة الجانب المشرق منها.

٢- شعراء سئموا من الحياة لعدم قدرتهم على تحمل تكاليف العيش بعد عمر طويل عاشوه فيها، وسيطرت عليهم مسحة من اليأس والحزن لتكالب الخطوب عليهم واحاطة الازمات بهم، ولشدة ما عانوه وقاسوه في الحياة من متاعب والام ومصائب، فأهتز بذلك ايمانهم بالحياة وحبهم لها، فلجأ العديد منهم الى التزهد في اشعارهم في اواخر حياتهم، فجاء زهدهم ليمثل حالة من حالات الشعور بانقضاء العمر والتحسر على ما فات منه وهي من الحالات الطبيعية التي تعتري كثيرا من الناس الذين يجنحون للتنسك في اواخر اعمارهم، فيتوبون ويسبحون ويستغفرون ويندمون على افعالهم، فمالوا بذلك الى الطعن بغدر الايام وغرور الحياة ومكرها، لتتداخل نظراتهم وتصوراتهم للحياة مع شعراء الزهد.

فالشاعر الغزال الذي يصدر في قصائد كثيرة عن خبرة عميقة في حياة ناتجة عن عمر طويل واختلاط بأصناف مختلفة من الناس ، وادراك لمشكلات الحياة يطالعنا بفلسفة وعظية نابعة من تلك الخبرة وذلك العمر الطويل الذي قارب القرن وهي ان كل شئ في هذه الحياة يصير الى زوال ، وكل قوة وصحة وجمال يؤول الى التراب، وعلى العاقل ان يتعظ بما الت اليه حالته ليعرف ان الموت ات لاريب فيه، فقد صار الشاعر اثرا وشبحا بعد ذلك الجمال والبهاء، فلم يبق منه الا الاسم وضعف بصره، حتى اصبح يرى الناس كالاشباح، فيقول:(١٣)

الست ترى ان الزمان طواني وبدل خلقي كله وبراني
تحيفني عضوا فعضوا فلم يدع سوى اسمي صحيحا وحده ولساني
ولو كانت الاسماء يدخلها البلى لقد بلى اسمي لامتداد زماني!
اذا عن لي شخص تخيل دونه شبيه ضباب او شبيه دخان!

وقد وقف الغزال من الاغنياء موقف المستنكر لغفلتهم عن الحقيقة في حياتهم وبعد مماتهم، لانهم يفرقون بين الناس احياء وامواتا، وذلك من خلال تشييدهم لقبورهم بعد موتهم، فهم لايدركون ان العبرة في قعر القبر لابمظهره الخارجي ، فجاءت دعوته صريحة الى الزهد والقناعة في الحياة، بقوله: (*)

ارى اهل اليسار اذا توفوا بنوا تلك المقابر بالصخور
ابوا الا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور!

الما يبصروا ما خربته الد هور من المدائن والقصور
لعمر ابيهم لو ابصروهم لما عرفوا الاناث من الذكور
اذا اكل الثرى هذا وهذا فما فضل الكبير على الحقير؟!

وبدعوة خلقية تختلط بنزعة زاهدة في الحياة جاءت فلسفة ابن عبد (ت ٣٢٨) ربه التي ((يستوحيها من خلفية اساسها الدين))(١٤) نفسه. فقد كان الشاعر يكثر من التأمل في الحياة ويطيل النظر في مشكلة زوال العمر، فهو يرى الحياةمزارع وما يزرعه الانسان فيها يحصده، وعلى الانسان ان يحسن الانتفاع من الحياة بصالح الاعمال، لان الحياة فانية لايبقى منها سوى العمل الذي خلفه الانسان حمدا او ذما، وهو مقياس التفاضل بين الناس ، فيقول: (١٥)

ان الحياة مزارع فأزرع بها ما شئت تحصد
والناس لايبقى سوى اثارهم والعين تفقد
او ما سمعت بمن مضى هذا يذم وذاك يحمد

وقد كان لطبيعة الشاعر المتشائمة المحاطة بسوء الظن الناظرة الى الحياة من طرف الموت والاخرة، جعلته يرى الحياة خالية من كل خير تنتقل من سئ الى اسوأ لم يبق فيها الا اهل اللؤم والبخل ، فهي خالية من أهل الخير والصلاح والكرماء من الناس، وان من فيها كلاب: (١٦)

وايام خلت من كل خير ودنيا قد توزعها الكلاب
كلاب لو سألتهم ترابا لقالوا : عندناانقطع التراب!

ولا يغنى فيها الا لئام الناس: (١٧)

أرى كل فدم قد تبجح في الغنى وذو الظرف لا تلقاه غير عديم

وبفلسفة مبسطة مستمدة من واقع الحياة وطبيعتها يرى الشاعر احمد بن فرج الجياني (ت ٣٦٦هـ) ان الحياة متقلبة لاتدوم على حال واحدة ، فهي كاليوم البهيج المشرق الذي يعقبه الغروب ليعجل بانقضائه ، والانسان فيها يقضي نحبه وهو مايزال في عنفوان شبابه ويتمتع بكامل قوته كالغصن الريان الذي اقتلعته الريح وألقت به نضيرا لم ينله الذبول: (١٨)

فللـه عينـا راه وقد قضى فأغمض منه الطرف وهو كليل
كالغصن الريـان ألوت بـه الصبا فخر نضيرا لم ينله ذبول
وكالشمس راقت بالضحى اعين الورى فأعجلها بعد الغروب اصيل

وقد بدا احساس الشاعر ابن شهيد (ت٤٢٦) بقصر الحياة فهو يرى ان حياته قد انتهت كلمح البصر، فقد جعلته علته التي اصابته في نهاية حياته واقعدته عن الحركة وتسببت في موته فيما بعد ، ان يشعر بخيبة الامل للعمر الذي انقضى ويستفرغ همومه والامل ويندب نفسه ويتأمل ايام حياته ليراها انها ليست قصيرة فحسب بل انها صفقة خاسرة ايضا، ووجد ان نجاته من العذاب بعد موته تكون بما قدمت يداه من صالح الاعمال:(١٩)

تأملت ما أفنيت من طول مدتي فلم أره الا كلمحة ناظر
وحصلت ما ادركت من طول لذتي فلم الفه الا كصفقة خاسر
وما انا الا رهن ما قدمت يدي اذا غادروني بين اهل المقابر

لذا لايجوز للانسان ان يتأسف على ما فاته ، وما حرمته الحياة ، اذ لاينفع تأسفه وحسرته لان الحياة جبلت على ذلك: (٢٠)

لا تبكين مـن الليالي انـها حرمتك نغبة شارب من مشرب
فأقل مالك عندها سيف الردى يستل من شعر القذال الاشيب

الا ان ابن شهيد على الرغم من دعوته هذه فأنه لم يستطع ان يخفي الصراع المتأجج في نفسه بين نهايته الحتمية وتلهفه الى الحياة وتمسكه بها(٢١)، فهو عندما يدرك ان الموت يتوجه نحوه ويرسل اليه كل يوم بنذير، يتمنى لو انه يستطيع ان يسكن اعلى قمة من جبل عال: (٢٢)

ولما رأيت العيش ولى برأسه و ايقنت ان الموت لاشك لاحقي
تمنيت انـي ساكن في غيابه بأعلى مهب الريح في رأس شاهق

وبفلسفة دينية زهدية يدعو ابو اسحاق الالبيري (ت ٤٦٠) الى الزهد في الحياة والعيش فيها حياة النساك المتعبدين المتبتلين الى الله ، لانها الحياة الحقيقية التي يثاب المرء عليها في دنياه واخرته: (٢٣)

لاعيش يصفو للملوك وانما تصفو وتحمد عيشة النساك

ويحاول الالبيري اكتشاف العلاقة العكسية التي تربط بين الحيات والموت فيجد انه كلما طالت حياة الانسان نقص عمره واصبح الموت اكثر اقترابا منه ليقربه من العجز، ويفقده المزيد من بهجة العيش، فيقول: (٢٤)

أأسر في الدنيا بكل زيادة وزيادتي فيها هي النقصان!

لذا يعجب الشاعر من عاقل يلتذ ويسعد بالحياة، ويغفل الموت الذي يتربص به حاملا سهمه ليفاجئه ويرميه في اية لحظة فيشير الى ذلك، بقوله: (٢٥)

كيف يلتذ بالحياة لبيب فوّقت نحوه المنية اسهم

ليس يدري متى يفاجيه منها صائب يقصف الظهور ويقصم

وبفلسفة اقترنت الحياة فيها بالموت يرى الشاعر ابن الحداد (ت٤٨٠هـ) ان نفوس البشر مهما حاولت ان تتشبث بالحياة وتجعلها موطنا لها ، تبقى غريبة فيها ، لان الموت قريب منها وان بعد الموت حياة اخرى الا ان هذه النفوس قد ضلت رشدها، وغفلت عن هذه الحقيقة لانها نظرت الى الامور بالعين لا بالقلب- اذ ان المعاينة تكون غالبا بالقلب لا بالعين- فيقول: (٢٦)

تجد الحياة نفيسة ونفوسنا غرباء ترغب عندها متوطنا

لو انها شعرت لها وسقت درت ان الوفاة هي الحياة تيقنا

لكنّها عميت ولم تر رشدها ما كلُّ مَن لحظ الامور تّبينا

وبفلسفة شكية يذهب السميسر الالبيري (ت بعد ٤٨٨) الى ان وجود الحياة عدم، فيدعو الى عدم الاغترار بها: (٢٧)

لاتغرك الحيا ة فموجودها عدم

ليس في البرق متعة لا مرىء يخبط الظلم

ويؤكد ابن وهبون المرسي (ت ٤٨٣) حقيقة ارتباط الحياة بالموت، وكونها لا تسير الا بوجوده فيذهب الى ان حقيقة الحياة هي الفناء وحقيقة الموت ماثلة في الحياة: (٢٨)

دنف يبّكي للصحيح و إنما أمواتنا– لو تشعر– الأحياء
وسواء ان تجلى اللحاظ من القذى أو تنتضى من شخصها الحوباء

فيسن الشاعر لنفسه شريعة تقوم على اساس "النفاق" في الحياة، ويعلن عنها صراحة دون ادنى حرج او تردد من الناس، فهو يرى انه لم يخلق لنفسه وانما خلق لاهل النفوذ والسلطان واصحاب المال لذا فهو لايجد في الامر غرابة اذا نافقهم وسار خلفهم: (٢٩)

لكم خلقنا ولم نخلق لا نفسنا فا نما نحن تحميد وتمجيد

وقد حاول الشاعر ابن عبدون التجيبي (ت ٥٢٠هـ) من خلال مرثيته في بني الافطس ان يبين طبيعة الكون وسنته من حيث فناء البشر وغدر الايام وتقلب الليالي وفجائع الدهر، فجاءت فلسفته في الاعتبار بالماضين من الدول والاسر والملوك والقادة من البشر الذين فجعهم الدهر واذلهم الزمان(٣٠) وراح يدعو الى عدم الاغترار بما تهبه الحياة من عطايا لانها سرعان ما تسترد ذلك: (٣١)

ما لليالي ،اقال الله عثرتنا من الليالي وخانتها يد الغير
تسر بالشئ لكن كي تغر به كالايم ثار الى الجاني من الزهر

وتتجلى لنا بوضوح من خلال زهديات ابن السيد البطليوسي خلاصة تجربته وخبرته في الحياة والحكمة والعبرة التي استخلصها من الاحداث التي مر بها، ومن تجارب الاخرين وما وعى من افكار فلسفية(٣٢)، ولاسيما تلك التي يكون فيها الشاعر مختليا بنفسه مناجيا ربه متوسلا متضرعا اليه بصدق واخلاص(٣٣)، فتأتي

فلسفته في الحياة- ممزوجة ايضا بقضية الموت- في شئ من العبرة والموعظة، فيرى ان الحياة لاخلود فيها وان كل شئ عليها مآله الفناء:(٣٤)

يسر الفتى بالعيش، وهو مبيده، ويغتر بالدنيا وما هي داره

وفي عبرة الأيام للمرء واعظ اذا صح فيها فكره واعتباره

ويقرر الأعمى التطيلي مقام الإنسان في هذه الحياة ،ليراه عبارة عن خطى وأنفاس معدودة ، وان المصير فيها الفناء، فيقول: (٣٥)

وليس حظ المرء من عمره الا خطى تحصى وانفاس

جرى الفتى والشيخ في حلبة الـ ـموتى وولّى الورد والاس

ولما اخذت الكابة تطبق على الشاعر ابن خفاجة (ت٥٣٣)، أصبح إحساسه بالسرور امرا عاديا، فلم يعد يحدث تلك الرعشة حينما يمر على حسه، اذ اصبحت سواء لديه ليالي الحزن والالم وليالي الفرح بالبهجة والسرور: (٣٦)

واذا ما انقضت صروف الليالي فسواء ليل الاسى والسرور

فانتهى به التفكير الى تفاهة الحياة ومرارتها وعدمها، فالحياة خراب،ومصير الاجسام التراب، فليس امام المرء الا الزهد في العاجلة والسعي وكسب الثواب من اجل الاجلة: (٣٧)

الا ان جسما يستحيل لتربة وان الحياة تنتهي لخراب

فلا سعي الا ان يكون لاجل ولا ذخر الا ان يكون ثواب

وتمنى لو انه لم يخلق: (٣٨)

فياليت اني ما خلقت لمطعم ولم ادر ما اليسرى هناك ولا العسرى

وقد جاءت نظرة ابن بقي القرطبي(ت٥٤٥هـ) في الحياة منسجمة مع حياة التشرد والضياع التي عاشها ومثلها باقسى صورهما(٣٩) فقد كان الشاعر شديد النقمة على اهل الاندلس كثير الشكوى من وجوده بين اهل المغرب نادبا حظه الذي دفعه بينهم فأخذ اليأس يصيبه ويدفعه الى الاستسلام، ليجد ان المنطق الصحيح للعيش في هذه الحياة الذي يستطيع الانسان من خلاله ان يحقق رغبته ويسمع به اولئك

الجهال من قومه، هو منطق القوة فبارك الشاعر الرمح رمز القوة والانتصار ووسيلته لنيل العلا، وتحقيق الرغائب، ولعن حرفة الادب والعلم لعدم وجودهما ولانهما سلاح الجبناء والضعفاء، فيقول: (٤٠)

انا امرؤ ان نبت بي ارض اندلس جئت العراق فقامت لي على قدم
ما العيش بالعلم الا حيلة ضعفت وحرفت وكلت بالقُعدُدِ البرم
لا يكسر الله متن الرمح ان بـه نيل العلا، و اتـاح الكسر للقلم
ولا أراق دما من باسل بطـل ومات كل اديب غبطـة بدم
اوغلت في المغرب الاقصى واعجزني نيل الرغائب حتى ابت بالندم

ولقد كان لبعض الشعراء من افراد الطبقة الوسطى طموحهم وامالهم في الغنى التي لم تلبث أن خابت فجاءت فلسفتهم لتعزي تلك النفوس بخيبتها وخذلانها وتسليتها بفلسفة " ان الاصل الطيب لا يضره عدم الغنى" ما لم تغيره حوادث الدهر ، فيشير الشاعر ابن مرج الكحل(ت٦٣٤هـ) الى ذلك بقوله:(٤١)

عذيري من الامال خابت صقورها ونالت جزيل الحظ منها الاباغث
وقالوا ذكرنا بالغنى فأجبتهم خمولا ولا ذكر مع البخل لابث
يـهون عليك ان يبيد اثاثنا وتبقى علينا المكرمات الاثائث
وما ضر اصلا طيبا عدم الغنى اذا لم يغيره من الدهر حادث

وبعد ان تأمل أبو البقاء الرندي(ت٦٨٤هـ) الحياة واستبصر التأريخ والاحاديث، واكتشف التناقض الذي يتحكم في علاقات الاشياء يقرر قاعدة انسانية مستمدة من تلك الاحاديث والتناقضات مؤداها ان اكمل أي شئ في الوجود هو بداية نهايته، وهذا الحال ينطبق على الحضارات والامم والشعوب، فعلى الانسان ان لايغتر بحاله وماله وقوته وجبروته فسبيل ذلك كله الفناء: (٤٢)

لكل شئ اذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لاتبقي على احد ولا يدوم على حال لها شان

ومن تناقضات الحياة التي اكتشفها الرندي – من خلال جهاده وسعيه فيها – هو ان العيش فيها لا يخضع لمنطق ولا يجري على أسس ثابته، وان الحظ فيها هو سبب كل نجاح يصل اليه الانسان، ومع غيابه تصبح حسناته سيئات، واكتشف ان الاريب لا حظ له فيها، وكأنها تعادي كل ذي عقل : (٤٣)

وقد أجهدت نفسي في اجتهاد وما ان كل مجتهد مصيب
وقد تجري الامور على قياس ولو تجري لعاش بها اللبيب
كأن العقل للدنيا عدو فما يقضي بها أربا اريب
اذا لـم يرزق الانسان بختا فما حسناته الا ذنوب

وفي ابيات فيها شئ من الحكمة يفلسف الملك الشاعر يوسف الثالث (ت٨١٩هـ) موقفه تجاه الحياة منطلقا من تجربة فردية تتمثل بمعاناته من تقلبات الحياة، ومحن الليالي مستخلصا من ذلك العبرة لنفسه وللاخرين، فيرى انه لا امان مع هذه الحياة التي تتغير فيها الاحوال من فرح وسرور وعز الى هم وحزن و ذل، فترفع اناسا لا يستحقون وتخفض اخرين فعلى المرء ان لايغتر بها، ولا يغفل اساءة الزمن: (٤٤)

يا غافلا غره ما جره الزمن هديت ان الليالي كلها محن
لاتغترر بسرور زائل فلـه بعد السرور اذا دبرتـه حزن
كم قد أهان عزيزا بعد عزته وكم أعز ذليلا وهو ممتهن
لأفشين امورا كنت اكتمهـا فقد تستوى لدي السر والعلن
أرى الحوادث لا تنفك تطلبني حتى كأني بصرف الدهر مرتهن

اذن هذه تأملات وأفكار الشعراء من اصحاب القسمين الاول والثاني والتي – حسب ما ذكرنا– تداخلت مع بعضها في النظر الى الحياة، وتمثلت بالدعوة الى الزهد فيها وعدم الاغترار بها والاطمئنان اليها لانها مليئة بالتناقضات، وايامها ولياليها جبلت على الغدر، والعمر فيها قصير ولابد للمرء ان يستثمره بصالح الاعمال فضلا عن ذلك نجد التأملات الفردية التي تكشف عن تجربة ومعاناة خاصتين مر بها الشاعر ، انعكست بالتالي على موقفه من الحياة ونظرته اليها.

٣- اما شعراء هذا القسم فان افكارهم وتأملاتهم ودعواتهم جاءت على النقيض من سابقيهم فهم نظروا الى الحياة بعين المحبة ودعوا الى أنواع الملذات من مجون وخمر ونساء اخذين بأسباب من الحياة الماجنة العابثة فكانت نظرتهم الى الحياة سلبية هي الاخرى، لانها لاترى من الحياة الا اللذة بوصفها ردّ فعل للموت المتربص بالانسان أو لطبيعة الحياة المترفة التي كان يعيشها البعض، كما ان نظرتهم هذه كانت جزئية – ايضا- لانها اقتصرت على جانب بعينه من الحياة ظنا منهم ان ما في اشباع النفس من لذة الخمر والنساء وغيرها من المتع هو خير ما يسعى اليه الانسان وانه الجانب الاهم في الحياة.

فاتخذ بعض الشعراء من أصحاب هذه النظرة في الحياة مذهبا خاصا لهم في العيش يقوم على اساس ان الحياة الحقيقية هي حياة المجون والطرب والخمر، فيشير ابو عامر بن مسلمة المتوفى في القرن الخامس الهجري الى ذلك، بقوله: (٤٥)

يا نديمي قم اصطبح وعلى العود فاقترح
انما العيش بالسما ع وبالناي والقدح

والمذهب نفسه نجده عندالشاعر ابن الزقاق (ت٥٣٠) إذ يرى ان الحياة لاتقوم الا باصطباح الخمر: (٤٦)

ما العيش الا اصطباح الراح أو شنب (*)
يغني عن الراح من سلسال ذي أشر(**)

ويسن الشاعر ابن خفاجة لنفسه- قبل اقلاعه عن الشرب- ذات المذهب في العيش فيقول: (٤٧)

انما العيش مدام احمر قام يسقيه غلام احور

في حين ذهب البعض الاخر – من الذين أخذوا اسباباً من الحياة اللاهية- الى الدعوة في اغتنام فرص الحياة قبل فوات الاوان وذلك لاحساسهم بقصر الحياة وانقضائها حيث كان هذا الاحساس يشكل هاجسا مخيفا لديهم، مما دفعهم الى

الاسراع في اقتناص اللذات والايفوتوا فرصة من فرص اللهو في ريعان الصبا والشباب، لان الحياة عندهم لا تجود بالاماني واللذات الا في عهد الشباب، فالشاعر ابن زيدون الذي عاش تناقضات الحياة وتقلباتها واختلاف موازينها تبلورت لديه فكرة اضطراب موازين الحياة واختلالها، حيث وجد ان النوال في هذه الحياة لايتناسب مع سعي الانسان وجهده فيها، وان الرجل الكريم هدف لسهام الباغين الحاقدين، لان الحياة لاتقوم على العدل والانصاف بل كل شئ فيها متناقض، فيقول: (٤٨)

واشد فاجئـة الدواهي محسن يسعى ليعلقه الجريمة مجرم
تلقى الحسود اصم عن جرس الوفا ولقد يصيخ– الى الرقاة – الارقم

فراح يدعو الى اغتنام فرصة العيش واستغلال متعها ولذائذها: (٤٩)

واغتنم صفو الليالي إنما العيش اختلاس

وقد كان لطبيعة الحياة التي عاشها المعتمد بن عباد أثرها في بلورة فلسفته في الحياة من حيث انه كان ملكا عاش حياة مترفة ومتمتعا بما يتمتع به الملوك من عز وسلطان وجاه، ثم انقلبت الاحوال فسجن ونال أنواعا من الذل والهوان فأدرك بذلك ان عمر الانسان مهما امتد وطال في هذه الحياة فأنه يظل قصيرا، لذا جاءت دعوته بالتمتع بالحياة واغتنام فرص العيش فيها ، لانها قصيرة سرعان ما تنقضي: (٥٠)

علل فؤادك ، قد أبل عليل، واغنم حياتك ، فالبقاء قليل!
لو أنّ عُمركَ الف عام كامل ما كان حقا ان يقال : طويل!

وادرك ابن حمديس (ت ٥٢٩هـ) انه يجب الا يفوت فرصة من فرص المتع واللهو في ريعان صباه فاستنفد الشاعر شبابه في المتع واللذائذ واللهو والمرح لانها اقترنت عنده بالشباب. أما الحلم والصلاح فانه يرجئهما الى زمن تال:(٥١)

خلني أفن شبابي مرحا لايرد المهر عن طبع المرح
انما ينعم في الدنيا فتى يدفع الجد اليها في المزاح
فأسقني عن اذن سلطان الهوى ليس يشفى الروح الا كأس راح
وانتظر للحلم بعدي كرة كم فساد كان عقباه صلاح

فجاءت دعوته صريحة الى اغتنام اللذات ما دام الزمن يسعف على ذلك: (٥٢)

هو العيش فاغنم من زمانك صفوه وصد قنص اللذات قبل مثيرة

لان ذلك اجمل العيش والذه : (٥٣)

واغتنم من كل عيش صفوه فألذ العيش صفو يغتنم

ولان الحياة متقلبة لايصفو العيش فيها على الدوام: (٥٤)

فما عيشة الانسان صفو جميعها ولا اخر من عمره ند اول

ان دعوات الشاعر التي تؤكد على اغتنام فرص اللهو قبل فوات الاوان انما تدل على جانب رئيس من نظرته الى الحياة و اقباله عليهافي عهد الشباب خاصة،فالحياة عنده شباب وخمر ولهو، الا ان نظرته الى الحياة اخذت تندرج – بعد انقضاء شبابه وتقدمه بالسن – تحت قاعدة تسليم الامور وتفويضها لله سبحانه و تعالى ايمانا منه بعجز العقل عن ادراك كل شئ :(٥٥)

ما اغفل الفيلسوف عن طرق ليست لاهل العقول منسلكه
من سلم الامر للاله نجا ومن عدا القصد واقع الهلكة

ولما كانت الحياة قصيرة ، وفرصة لا تتكرر، والعمر فيها عبارة عن انفاس معدودة لابد لها ان

تتوقف يوماً ما جاءت دعوة الشاعر ابن زهر الحفيد (ت٥٩٦هـ) الى امتلاك الحياة واغتنام لذائذها بالانغماس بالمجون والخلاعة والخمر: (٥٦)

معنى خصيب وباب مرتج ابدا والدنّ والزقَ والا بريق والكاسُ
هذي الخلاعة لا شئ سمعت به فاستغنم اللهو ان العمر انفاسُ

الا ان ابن زهر لم يلتزم بفلسفته تلك وعدل عنها بعد ان علا نذير الموت رأسه – الشيب– وأدركته الشيخوخة فهجر كل معيب من نساء وخمر : (٥٧)

علا المشيب على راسي فقلت له الشيب والعيب لا والله ما اجتمعا

يا ساقي الكأس لا تعدل اليّ بها فقد هجرتُ الحميا والحميم معا

واجمالا نقول انقسمت تأملات شعراء الاندلس ووقفاتهم من الحياة الى ثلاثة اقسام: القسمان الاول والثاني طلبوا – كما نطلب نحن- عمرا طويلا ، وهم تواقون الى البقاء في الحياة فلم يجدوا ثمة وسيلة امامهم لتحويل هذا العمر الفاني الى عمر باق سوى التوجه الى الزهد وما يخالجه من تقوى وورع سواء في بداية عمر الشاعر الى ما شاء الله ان يعيش – كما فعل اصحاب القسم الاول- او في اواخر حياته – كما فعل اصحاب القسم الثاني- فكان ان بسطت هذه الوسيلة سلطانها على الشعراء فبرزت للعيان اثارها لدى قارئي دواوينهم.

اما القسم الاخير فادى عشقهم الشديد للبقاء الى ان يتوهموا نوعا من البقاء في كل ما يحبونه بل انهم لا يحبون شيئاً الا بعد توهم البقاء فيه، وما داموا على هذه الشاكلة فلا ريب ان تكون جميع كمالاتهم واذواقهم ومشاربهم تابعة للبقاء ايضا. وهذا ادى بدوره الى ان يطلقوا لانفسهم العنان للتمتع بالحياة ومباهجها المليئة بالمشارب والقيان.

الـموت:

يعد الموت اخطر ظاهرة في الحياة وقف البشر بازائها حائرين مذهولين محاولين حل لغزها ومعرفة حقيقتها وكنهها، اذ أن جهلهم بهذا الحدث ينبههم الى مصيرهم، ويهدد نهايتهم ويقتلعهم من وجودهم، ويعيدهم الى التراب دفعهم للتأمل فيه طويلا منذ كانوا الا انهم لم يستطيعوا التوصل الى حقيقته او ان يعرفوا ما قبله وما بعده ((فهو لغز مذهل مجهول غامض لا نعرف عنه شيئا)) (٥٨).

وقال عنه البعض – محاولا التفريق بينه وبين المشكل- انه ((سر يصعب حله والفرق بين المشكل والسر، ان المشكل نلتقي به خارج ذواتنا فنصطدم به، اما الثاني فيتخلل كل حياتنا ووجودنا ونرتبط به كل الارتباط، فالموت بالنسبة لنا سر لانه ينفصل عن وجودنا ، ما دام ذلك الوجود يسير حتما الى النهاية)) (٥٩) لذا لجأ الانسان الى الاديان ليطمئن روحه الحائرة امام ذلك اللغز المحير.

وقد عرف الانسان الموت منذ كان لانه يسير محاذيا للحياة يرصدها ويترقبها وينقضّ عليها في الوقت المناسب، فهو يصيب الانسان مهما فر منه واوى الى مكان حصين، فاذا جاء اجله فلا واقي له ولا شئ يرده فهو ((سنة مألوفة في هذا الكون تتكرر دوما ولا تنقطع)) (٦٠) ويحمل صفة الشمول المطلق لكل الاحياء مهما طال بهم الزمن ويدور على كل انسان يقضي على العالم والجاهل والكبير والصغير ، والغنى والفقير، والقوي والضعيف ، والراعي والامير والكريم والبخيل، فلا ينجو منه احد من البشر.

وعلى الرغم من ايمان الانسان بأن الحياة ظل متنقل والدنيا سفر الى أبدية لاترجع وانه فان يزول مع الزمان، لأن الموت حق لامرد له يسير به الى دار الخلد، بقيت تساؤلاته حول الموت قائمة، وبقي قلقه منه مستمرا الى يومنا هذا لانه الوحيد في هذا الوجود ((الذي يملك يقينا مزعجا عن حقيقة الموت)) (٦١) فهو يشيع في كل انسان ((لانه طابع أصلي في الوجود حتى في اشد الناس طمأنينه بل في السعادة نفسها وان اختلفت درجته واختلف مقدار الشعور به فيما بين الناس))(٦٢) وبذا كثر ذكره عند الفلاسفة والشعراء والصوفيين وان اختلفت وجهات نظرهم فيه(٦٣) ، فالموت عند الفلاسفة المتأثرين بالفلسفة اليونانية، هو انتقال الى حياة روحية خالصة اغزر علما من الحياة التي كان يحياها الانسان بجسده الفاني فهو عندهم حياة لا يخافونه، بل يسعدون به لانه متمم لمعرفتهم الكبرى وسعادتهم العظمى وهكذا كان ابن طفيل في قصته "حي بن يقظان" (٦٤).

اما الصوفي فهو يتغبط بالموت لانه يخلصه من الجسد الذي يعوقه عن الاتحاد الابدي بالله، فهو يجد في الموت ومفارقة الروح للجسد أسعد الاوقات وأمتعها لان روحه ستبقى خالدة الى الابد في الذات الالهية(٦٥).

اما الشعراء فان الموت قد حيرهم فوقفوا بين القبور متأملين في الموت سائلين عن سره فالتزموا ((موقف الشك واللا ادرية والحيرة في أمر الموت العصيب الذي لم يستطع فيلسوف ولا عالم ان يكشف سره، وان يبعده عن الانسان)) (٦٦) فشغلهم وتأملوه، كما تأملوا الحياة والدنيا بل كان له حيز اكبر في اشعارهم وتأمل اعمق في فلسفتهم لانه ينهي حياتهم وينغص عليهم عيشتهم، ويسلب أعز الناس

منهم، ويهدم الشمل واللذات، وفيه دليل على ضالتهم وضعفهم امامه فضلا عن جهلهم لحقيقته.

فكان تأثر الشعراء بمبادئ القرآن الكريم في فهم مصيبة الموت والتعامل معها بدا واضحا في اشعارهم ، فقد وجدوا فيه عزاء عميقا لنفوسهم الحائرة(٦٧) ، فكثرت في أشعارهم – التي تتحدث عن الموت – المعاني الاسلامية التي تتصل بمصير الانسان وسبيل الناس وحياتهم، وجاءت في مقطوعات منفردة او ضمن اغراضهم الشعرية المختلفة ولاسيما في قصائد الرثاء اذ أنهم ((لم يجعلوا الموت موضوعا لقصائدهم، بل ذكروه عرضا في الرثاء او في حالة اليأس))(٦٨) فحملت تلك الاشعار افكارهم وآراهم المختلفة في الموت، اعتمادا على مشاعرهم الخاصة نحوه وانطلاقا من فكرتهم عنه ومن المواقف التي ((يوحيها المجتمع وتخلقها الحياة العلمية واليتها أو طريقة عملها)) (٦٩).

فنجد بعض الشعراء عندما تمتد به الحياة وتدنو ساعته يتحدث عن الموت حديث الواعظ فيدعو غيره أن يعرض عن اللذات. ويتبع اوامر الله ، ويعتبر بأحوال الاخرين ممن راحوا عن الدنيا ولم يحملوا معهم غير كفنهم، ولم يحوزوا من ارضها غير القبر.

فكانت"فكرة الموت" عندهم مؤشر تبدل في الموقف من الحياة وما فيها، وكانت كفيلة في ان تعيد صياغة مفاهيم وافكارهم وتبني سلوكا عمليا لديهم منسجما مع المنطق الذي اختاروه ازاء حقيقة الموت الشاملة. فالتزموا بذلك حياة الزهد. والتخلي عن الدنيا فهجروا حياة اللهو والعبث التي كانوا يعيشونها ففلسفوا الموت من خلال نظرتهم للحياة وتهافت الناس عليها وانشغالهم بها.

وقد حاول بعض الشعراء من خلال عرض "فكرة الموت" ان يسموا بالانسان ويرتفعوا به عن سفوح الجسد الى قمم الروح، فكان حديثهم عن الموت حديثا دينيا يخاطب الروح ولم يخاطبوا فيه العقل ولا العاطفة، فيدعوا الناس الى التزود بالعمل الصالح قبل ان يضمهم القبر، ويقفون امام الله يوم الحساب فيجزي كل امرى على ماكسبت يداه.

ومن الاساليب البارزة التي ظهرت في الشعر الاندلسي ولجأ اليها بعض الشعراء في عرض تأملاتهم وافكارهم الفلسفية في الموت والفناء، هي دعوتهم للاتعاظ وأخذ العبرة من الماضين الذين اقتلعهم الموت وافناهم، فلجأو الى عرض شواهد من واقع الحياة والتاريخ، والتي تشير الى فناء الامم السابقة والحضارات القديمة وموت الانبياء والملوك والجبابرة والاقوام السابقين.

وتبقى الصورة المهذبة التي برزت عند اولئك الشعراء الذين عدوا الموت امراً مقدرا عليهم وربطوه بسلطان خالقهم عز وجل، هي الفلسفة التي تبناها معظم شعراء الاندلس، والتي عكست ايمانهم المطلق بقضاء الله،فقد تيقن اولئك الشعراء من فناء الدنيا وحتمية الموت،وعدم جدوى الحزن والبكاء. لان رحى الموت تدور على كل انسان فتطحن الجميع وان الموت افة الحياة يفني كل شئ، وهو قدر مكتوب لا يعلمه الا الله تعالى مما ولد لديهم احساسا بالعجز والتسليم بقوة الموت وضعفهم امامه، وهو احساس يرجع بطبيعته الى ما وقر في نفوسهم من مسلمات وايحاءات العقيدة الاسلامية الذاهبة الى ان ((كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)) (الرحمن ٢٦-٢٧) فخلت بذلك اشعارهم من الاشارة الى صراعهم مع هذه القوة الخارقة التي اذهلتهم فمن النادر ان نسمع صوت يدعو الى غض النظر عن هذا المصير ومواجهة الحياة بشجاعة.

ومع هذا فقد كره الشعراء الموت ، واصبح شغلهم الشاغل لانه ينغص عليهم حياتهم ويقض مضاجعهم وينهي حياتهم، الا ان بعض الشعراء ممن ولي شبابه وادركته الشيخوخة ، او من الذين اصابهم المرض واقعدتهم عن الحركة، وعن ممارسة حياتهم الطبيعية او ممن غدر بهم الزمن ودارت بهم الايام نراهم يتمنون الموت حتى يتخلصوا من متاعبهم والامهم وما أصابهم لانهم على يقين انهم سيجدون راحة ابدية ورحمة واسعة.

اذن هناك الكثير من التأملات والافكار والمعاني والصور يطالعنا بها شعراء الاندلس تجاه الموت عكستها ثقافتهم الشخصية وتجاربهم الخاصة التي عاشوها وجسدوا توجهاتها وافكارها في اشعارهم كأن يكونوا زهادا او متصوفة او شعراء من اهل الدنيا.

فعندما تقدم العمر بالشاعر ابن عبد ربه شعر بدنو اجله،و تذكر الموت فخفق قلبه خوفا وانهملت دموعه متصببه ، الا ان ايمانه العميق بقضية الموت وحتميته جعلته يتيقن ان لا شئ يرد هذا القدر:(٧٠)

من لي اذا جدت بين الاهل والولد وكان مني نحو الموت قيد يد
والدمع يهمل و الانفاس صاعدة فالدمع في صبب و النفس في صعد

فراح يذكر العابث اللاهي المغرور بقوله:(٧١)

ا تلهو بين باطية وزير وانت من الهلاك على شفير ؟
فيامن غره امل طويل يؤديه الى اجل قصير
اتفرح والمنية كل يوم تريك مكان قبرك في القبور !

ويؤكد الشاعر ابن دراج القسطلي (ت٤٢١هـ) في قصيدته التي يرثي فيها ام هشام المؤيد ان الموت لا يلبث ان يأتي ويفرق الشمل لا يستطيع احد ان يرده او يتخلص منه ، لا يمنعه مال ولا جاه، ولا ينفع معه بكاء او عويل، فالكل يشرب من كأس المنون ولا يعفي احد منها، لانهم امام الموت سواء: (٧٢)

بقاء الخلائق رهن الفناء وقصر التداني وشيك التنائي
لقد حلَّ من يومه لاقتراب وقد حان من عمره لانتهاء
هل الملك يملك ريب المنون؟ ام العز يصرف صرف القضاء؟
هو الموت يصدع شمل الجميع ويكسو الربوع ثياب العفاء
يَبزُّ الحياة ببطش شديد ويلقي النفوس بداء عياء
فما في العويل له من كفيء ولا في الدموع له من شفاء

ويرى الشاعر ان الموت لا يرضي من الناس الا بكرام النفوس واعزائها، فيسدد سهامه عليهم ليفجعنا بهم و كأن له ثأرا فينا:(٧٣)

وللمنايا سهام غير طائشة وذو النُّهى بجميل الصّبر مُدَّرعُ
---------- ----------
وللفجائع اقدارٌ وافجعها للنَّفس حيثُ ترى اظفارها تقع
كأن للموت فينا ثأر محتكم فما بغير الكريم الحر يقتنع

وعندما يقرر الفقيه ابن حزم حقيقة الموت بأنه مدرك الجميع، يدعو من خلال ذلك الى الاخذ بالموعظة من قوة الخالق سبحانه وتعالى وجبروته في فناء الامم السابقة وان على الناس ان لا يغتروا بما يفنى ولا يدوم وان يطيعوا اوامر الله ويتزودوا بصالح الاعمال فحياتهم الاخرى بعد الموت . اما الى نعيم مقيم، او نار وحميم: (٧٤)

سيفتى العزيز ويفنى الذليل وتفنى القوى ويفنى الالم
يبيد الجميع فلا تغترر بما لا يدوم لمن لم يدم
فأين الذين بنوا تدمرا وباني البرابي وباني الهرم
وأين الألى احكموا قادسا وعقد قناطرها والصنم
و تاتي المنية لابد ان يطيف بنا حكمها الملتزم
ومن بعد ذلك دار الجزاء وما قد مضى فكماضي الحلم
فدار النعيم لاهل الفلاح ونار لمن قد عصى تضطرم
فبادر قبيل حلول الردى فتندم اذ ليس يغني الندم

ويبرز لنا الفقيه الزاهد ابو اسحاق الالبيري من خلال فلسفته في الموت، في صورة الحكيم الواعظ، اذ ارتبطت فلسفته بالوعظ والتنبيه والتذكير، فهو يلفت الانظار الى المواطن السلبية في حياة الناس، ساخرا من الانسان الذي اسرع اليه النسيان(٧٥) وغفل عن الموت، ولم يعد يحسب حسابه وحساب الحياة الاخرى التي وراءه(٧٦) فراح يحث على الاعتبار بمن تقلبت بهم الاحوال وقضى عليهم الموت بعد تلك النعم والبأس والقوة التي كانوا عليها(٧٧) . فالموت يرصد الانسان دوما وينذره، وهو قريب منه اينما كان ولا يعلم احد متى يحين اجله(٧٨) ويقرر حقيقة الموت بأنه حتم على البشر يصيب الكل ولا مناص في ذلك، فهو رحى تستدير فتطحن الجميع، وهو الباب لحياة اخرى هي دار البقاء والخلود: (٧٩)

نحن في منزل الفناء ولكن هو باب الى البقاء وسُلّم
ورحى الموت تستدير علينا ابدا تطحن الجميع وتهشم

وقد وقف ابن زيدون عاجزا امام سلطان الموت ، حائرا في تفكيره ، على الرغم مما يمتلكه الشاعر من خزين فكري وثقافي وديني وتجارب حياتية، وحاول ان يكشف شيئا من حقيقته، باحثا عن المعادل الموضوعي لما يشغل تفكيره، فوجد ان الموت لا يسلم منه احد ينسل متخفيا لا يدفعه الحزن او مهارة الطبيب: (٨٠)

انما يكسبنا الحز ن عناء لا غناء
انت طب ان داء الـ موت قد اعيا الدَّواء
فتأس ان ذاك الـ خطب غال الانبياء
وسيفني الملا الاعـ لى اذا ما الله شاء

وهو اقوى القوى لا يستطيع الانسان ان يقف امامه صامدا ولا ينفع معه شئ ففي قصيدته التي رثى فيها الملك المعتضد بن عباد (ت٤٦١هـ) رأى ابن زيدون ان الموت الذي اصاب الملك لم تستطع ان تدفعه جلائل اعماله، ولا جيشه العظيم وعطاياه وهداياه الكثيرة: (٨١)

غشيت!! فلم تغش الطراد سوابح ولا جردت بيض، ولا اشرعت سمر
ولا ثنت المحذور عنك جلالـة ولا عدد ، دثر، ولا نائل غمـر

فقد عد ابن زيدون الموت المصيبة او الواقع الذي لابد منه، لانه كأس لابد ان يشرب منها الجميع، لذا لم تكن افكاره الفلسفية تحمل تصورا سوداويا تجاه الموت فهو يؤمن ان لكل انسان اياماً معدودات في هذه الحياة ، مهما طالت مدة عيشه فينالـه تيار الموت ويجرفه ثم يمضي فهو نهاية كل حي: (٨٢)

ولئن أذالك – بعد طول صيانة – قَـدَرٌ فكل مصونةٍ ستذال

فالموت نهاية كل حي في الوجود ولا يخلد الا الله سبحانه وتعالى، فعلى الانسان ان لا يفقد ايمانه بالله وثقته فيه، لان ذلك اشد من الموت:(٨٣)

مصاب الذي يأسى بميت ثوابـه هو البّرحُ. لا الميت الذي احرز القبر

فالمصيبة ليست ان يموت الانسان ، ولكن ان يحزن ويجزع عليه الاخرون ويفقدوا ايمانهم بقضاء الله وحتمية الموت واحقيته. فيفقدوا بذلك ثواب الصبر:(٨٤)

وما الرزء في ان يودع التربَ هالك بل الرُّزء كل الرزء ان يهلك الاجر

وينطلق الشاعر ابن الحداد في نظرته الى الموت من رؤية فلسفية يرى فيها ان الانسان مهما اوتي من العلم والمعرفة فانه لا يستطيع اسر الموت ويتوصل الى

حقيقته وجوهره. فالموت يحذر الناس في كل شئ يقومون به كما كان شعيب- عليه السلام – يحذر قومه من افعالهم وعقاب الله، ويفسر الشاعر فلسفة الوجود من خلال الحياة والموت فيبين ان الحياة سفر والموت موطننا ومستقرنا، الا اننا كرهنا الحلول في هذا الموطن، وان هذه الحياة لابد ان يتلوها الموت مثلما يتلو النهار ما تبقى من الليل: (٨٥)

ان المنية ليس يدرك كنهها فنوافذ الافهام قد وقفت هنا
في كل شئ للانام محذّر ما كان حَّذرَهُ شعُيبٌ مَدينا
وحياتُنا سَفَر وموطننا الردى لكن كرهنا ان نُحُلَّ الموطنا
---------- ----------

لابد ان تتلو الحياة منية من شك ان اليوم يزجي الموهنا؟
لا ترج ابقاء البقاء على امرئ كل النفوس تحل افنية الفنا

وقد حملت قصيدة ابن وهبون المرسي التي رثى فيها استاذه الاعلم الشنتمري – في مقدمتها – افكارا فلسفية في الحياة والموت، فتحدث فيها عن البقاء والفناء، فهو يرى ان لابقاء للمرء في هذه الحياة لانه حالة مؤقتة، فسيعم الزوال والموت الذي لا مفر منه، اذ ان الموت هو نهاية كل حي وحقيقته – عنده – ماثلة في الحياة، وان الاموات هم الاحياء فالبقاء والفناء امران طبيعيان مقرونان بطبيعة الخلق وذلك متصل بـ (تعاقب الاضداد)(٨٦).

سبق الفناء فما يدوم بقاء تفنى النجوم وتسقط البيضاء
---------- ----------

انا لنعلم ما يراد بنا فلم تعيا القلوب وتغلب الاهواء
طيف المنيا في اساليب المنى وعلى طريق الصحة الادواء
---------- ----------

بتعاقب الاضداد مما قد ترى جلبت عليك الحكمة الشنعاء
ونظير موت المرء بعد حياته ان تستوي من جنسه الاعضاء
دنف يبكي للصحيح وانما امواتنا لو تشعر الاحياء

وتضمنت قصائد المعتمد بن عباد التي رثى فيها دولته وبكى واقعه وتأسف فيها على ايامه المنصرمة الكثير من المواقف والتأملات، فقد استطاع المعتمد بنبرة صادقة ومعاناة حقيقية ان يصور لنا مأساته واحزانه والامه ويوازن بين ذل حلّ بعز تصرم حيث كانت حياته بأسا ودموعا وذكريات حزينة من الماضي السعيد البهيج ونظرات يائسة سوداء معتمه الى ايامه المقبلة(٨٧). مما جعلته يأمل الموت وينتظره، لانه سينقذه من التعب والاسى وعناء التفكير المضني: (٨٨)

تؤّمل للنفس الشجية فرحة وتأبى الخطوب السود الا تماديا
لياليك في زاهيك اصفى صحبتها، كما صحبت قبلي الملوك الليالیا
نعيم وبؤس ذا لذلك ناسخ، وبعدهما نسخ المنايا الامانيا

ويريحه من حياة البؤس والشقاء، لانه خير من الحياة في ظل عيش ذليل:(٨٩)

اليس الموت اروح من حياة يطول على الشقي بها الشقاء؟

فالموت الذي يفر منه ويحتجب عنه، تمناه البعض وطلبه لانهم تيقنوا ان في الموت راحة ورحمة لهم ينقذهم من القسوة في الحياة، ومن الجهل والحقد والخوف والاسى. فالشاعر الجزار السرقسطي(ت ٥١٥) الذي يبدو انه عاش حياة قاسية وظروفا سيئة انتهى به الامر ان يتمنى الموت على حياة يقتضي العيش فيها ذل صاحبه: (٩٠)

فزر يا موت او يا نفس فيظي والا تعتدي للموت روحي
اذا ما العيش قاد اليك ذلا فان العز في الموت المريح

وعندما فقد ابو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) اهله وولده واصدقاءه واحدا اثر واحد بكاهم اوجع البكاء بدمع سال عليهم مدرارا مما جعل عينيه تبيضان ويتوجع قلبه بالالم والحزن عليهم، فشعر بكرهه للحياة واماله في ان يلحق بهم:(٩١)

ارقب الموت واستبطئه ليلة اليوم اتى او في غد

وتمناه الشاعر عبد الكريم القيسي(ت ق ٩ هـ) – الذي عاش معظم القرن التاسع الهجري – لانه وجده خيرا من تلك الحياة التي كان يعاني فيها البأس والشقاء وهو في الاسر: (٩٢)

ان لم تُيِّسر سراحي يا ربّ يسّر مماتي
فالموتُ عندي خير من خدمتي للحياة

فهو اهون من الحياة التي كان يعاني فيها العذاب والالام: (٩٣)

الموت اهون من أسرٍ بآبرة عند الذي ذاقه فيها من الناس
ما ذاك الا لما يلقى الاسير بها من الثقاف العظيم الخطب والباس

وكما اسلفنا فأن بعض الشعراء قد راقت لهم فكرة الاعتبار بالماضين، فلجأوا اليها في عرض فلسفتهم في قضية الموت وبيان حتميته من خلال الاشارة الى من ابادهم الموت وافناهم في الغابر من الامم والاقوام والملوك التي سادت وبلغت اقصى مجدها، ثم اقتلعها الموت وابادها، وذلك للتدليل على ان الموت الذي اصابها وافناها هو الذي يفني الناس جميعا، ويذهب كل شئ فيصرح الشاعر ابن اللبانة الداني (ت٥٠٧هـ) بأن لكل شئ في الوجود ميعاداً: (٩٤)

الدهر يفجع بعد العين بالاثر فما البكاء على الاشباح والصور؟

وفي نونية الرندي التي بكى فيها افول نجم الاندلس، وذهاب عزها وشموخها، نراه يستخلص من ذلك كله فكرة الفناء المحتوم: (٩٥)

اتى على الكل امر لا مرد له حتى قضوا فكأنّ القوم ما كانوا
وصارما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان

واذا كان بعض الشعراء قد تمنى الموت لانهم وجدوا فيه راحة انفسهم من عيش قاس او مرض عضال، فان الشاعر ابن صارة الاندلسي ينفرد في موقفه – الباطل– من الموت فهو يرى الموت، اكرم الاصهار لانه اختطف احدى بناته فواراها التراب واراحه من عناء المسؤولية ، وخشية ان تلحق العار به فيحمده على فعلته قائلا: (٩٦)

الا يا موت كنت بنا رؤوفا فجددت الحياة لنا بزوره
حماد لفعلك المشكور لما كفيت مئونة وسترت عوره

فناكحنا الضريح بلا صداق وجهزنا الفتاة بغير سوره

لذا راى محمد رضا الشبيبي ان هذه الابيات تمثل عثرة كبيرة في حلبة الادب، وان نظر ابن صارة الى الانثى لا يعدو نظر اهل الجاهلية، الذين بخسوا قيمة المراة في الحياة، فسفه الاسلام مذهبهم وندد بأفعالهم: (٩٧)

وقد كان للاعمى التطيلي وقفته المحيرة ازاء حقيقة الموت، محاولا استجلاء غوامضه والكشف عن اسراره، قائلا: (٩٨)

قضيت حاجة نفسي غير مشكلة في الموت لم اقض من علم بها وطرا

ادنو اليها فتنأى لا تلوح، سوى لبس من الظن لا عرفا ولا نكرا

ويغتاض ابن حمديس من الموت لانه يبيد البشر ويلدغهم لدغ الافاعي، ويمد يده الجانية الى ارواحهم ليرزهقها، الا انه لابد من عودة للروح: (٩٩)

رأيت الحمام يبيد الانام ولد غته مالها راقيه

و ارواحنا ثمرات له يمد اليها يدا جانيه

وكل امرئ قد رأى سمعه ذهابا من الامم الماضية

وعارية في الفتى روحه ولا بد من رده العاريه

فالموت مقبل على كل حي لا رادع له ولا واق، لانه داء عياء فقد طوى اما سابقة رغم سطوتهم، فلم تبق لهم باقية، فليتعظ الاخرون بهم: (١٠٠)

أي خطب عن قوسه الموت يرمي وسهام تصيب منه فتصمي

يسرع الحي في الحياة ببرء ثم يفضي الى الممات بسقم

بدر الموت كل طائر جو في مفاز وكل سابح يم

والرزايا في وعظهن البرايا في الاحايين ناطقات كبكم

والذي اعجز الاطباء داء فَقدُ روحٍ به ووجدانُ جسم

فالموت علة الانسان منذ كانت الخليقة، ورثها الابناء عن الاباء: (١٠١)

إنا لآدم كلّنا ولد وحَمِامُنا بحمامه جنس

واقلّ مـا يبقى الجـدارُ اذا ما انهدّ تحتَ بنائه الاس

فتصوره ابن حمديس قوة جبارة يطارد الاحياء في كل مكان لا ينجو منه احد: (١٠٢)

كلّ لاه عما يطيل شجاه يملا العين من رقاد خلـي
والردى يشمل الانـام ومنه عرضّي يجئُ من جوهري
ومميت الـحراك منه سكون مظهر فعله بسر خفي
وهو يرمي قوائم الاعصم الضر ب ويلوي قوادم المضرحي
لا يهاب الحمام ملكا عظيما يجتبي يوم جوده بالحبي
ينطق الموتَ من ظباه فيمضي حُكمهُ في الورى بأمر وحي

وكان يحس احساسا قويا بعجز الناس ازاء هذه القوة، فالخلق مرضى بهذا الداء وطبيبهم مريض ايضا بنفس الداء، ولن يجدي المريض على المريض شيئا:(١٠٣)

رأيت الخلق مرضى لا يداوى لهم كلب(*) من الزمن العضوض
ولا آس لهم الا مريـض فهل يجدي المريض على المريض
يواصل فيهم فتك ابن اوى وهم في غفلـة البهم الربيض
وما ينجو امروء من قبضتيـه يُـدِلّ بسبق منجرد قبيض

فقد لاحظ الدكتور احسان عباس ان مشكلة الوجود والفناء لم تتعقد في نفس الشاعر فهو لم يسأل نفسه عن المتناقضات التي طرحته الحياة فيها، لانه كان يشعر دائما بالعجز ازاء كل مشكلة فيتركها لنفسه(١٠٤) فآمن ابن حمديس بأن الفناء قدر محتوم على الانسان، فالعالم كله يصير الى الافناء والخلود لله تعالى وحده: (١٠٥)

ارى العالـم العلوي يفنـى جميعه اذا خلت الدنيا من العالم السفلي
ويبقى على ما كان من قبل خلقه اله هدى اهل الضلالة بالرسل

وامن بالبعث بعد الممات ، مما جعله يسلم امره لله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، طامعا في رجاء الله ومغفرته:(١٠٦)

نفوسنا بالرجاء ممتسكه والموت للخلق ناصب شركه

ننشا بالبعث بعد ميتتنا اما يعيد الزجاج من سبكه

من سلم الامر للاله نجا ومن عدا القصد واقع الهلكه

ويصرح الشاعر الحكيم ابو الصلت الداني ان الموت قدر على كل انسان ، وهو لايفرق بين القوي او الضعيف ، فهو نتيجة حتمية لكل انسان ، فيقول: (١٠٧)

وما انشبت كف المنية ظفرها فينجي طبيب من شباها (**) ولا طب

ولا وألت (***) من صيدها ذات المخلب به كل حين من فرائسها خلب

ولا حيدر ذو لبد تين غضنفر له من قلوب الارض في صدره قلب

وعلى الرغم من اقرار الشاعر ابن الزقاق بحتمية الموت وحقيقة الفناء في مرثيته لاخيه حسن بقوله: (١٠٨)

انوما ووعد الحادثات وعيد وحادي المنايا ليس عنه محيد

وفي كل يوم للخطوب وليلة وقائع تفنى جمعنا وتبيد

الا انه لايبدو جزعا من الموت، وانما راح يستذكر حلاوة صحبته وصفوها وجمال عيشه: (١٠٩)

أاخواننا والموت قد حال دوننا وللموت حكم نافذ في الخلائق

سبقتكم للموت والعمر ظنه واعلم ان الكل لابد لاحقي

بعيشكم او باضطجاعي في الثرى الم نك في صفو من الود رائق

فمن مرَّ بي فليمض بي مترحما ولا يك منسيا وفاء الاصادق

وقد ظلت فكرة الموت تلح على الشاعر ابن خفاجة، وذلك لادراكه حتمية الموت التي تجعله امرا لامفر منه، فظل يشعر بان الموت يطارده: (١١٠)

واني وقد اودت لداتي واسرتي سأغدو وراء القوم أوسأروح

فلم يغن نوحا والمنون بمرصد تراقبه ان كان عُمِّر نوح

فذرني أنُح حزناً وقلّ لمُجرم تدانت خطاه ان يكون ينوح

فكان يمر بالمقابر يطيل الوقوف بها بين اعتبار واستعبار: (١١١)

الاصمت الاجداث عني فلم تجب ولم يغنني اني رفعت بها صوتي
فيا عجبا لي كيف آنس بالمنى وغاية ما ادركت منها الى فوت؟
وهل من سرور او امان لعاقل ومفضي غبور الغابرين الى الموت؟

ويحاول ابن خفاجة حينما رأى اصحابه قد سكنوا القبور وأصبحوا ملك الابدية ان يستمد من خزينه الفكري ما يساعده على استجلاء حقيقة ذلك المجهول الذي سينال منه، فلا تعينه ثقافته وتخونه وينادي غير سميع: (١١٢)

يا ايها النائي ولست بمسمع سكن القبور وبيننا اسداد
ما تفعل النفس النفيسة عندما تتهاجر الارواح والاجساد
كشف الغطاء اليك عن سر الردى فأجب بما تندى به الاكباد

ويرى الشيخ ابن العربي ان الموت وان كان العباد يرونه يحل الاجسام ويفسدها، الا انه عين الصلاح، لانه تنطلق الروح من سجنها-الجسد- وتصعد الى كيانها العلوي: (١١٣)

فهو ان كان في العيان فسادا فهو عند الاله عين الصلاح

والموت في نظره ليس نهاية مطاف البشر، وانما هو حياة جديدة يرون فيها من الاشياء والاسرار مالم يكن باستطاعتهم رؤيتها وهم احياء يعيشون حياتهم الدنيا، وسيعلمون عندئذ موقعهم من الحياة الاخرى، ان كانوا من الناجين او الهالكين: (١١٤)

اجيبي ما لقيت فخبريني من الاسرار في كشف الغطاء
انعى كان عند الكشف حتى يكون لنا النعيم على السواء

ويتحدث ابن الجنان الانصاري في حوالي ثلاثين بيتا عن فلسفة الحياة والموت مشيرا من خلالها الى طبيعة هذا السر الذي لم يتوصل الى حقيقته انسان، انما تفرد به علام الغيوب جلت قدرته، وقدره على العباد وجعل لكل منهم اجله المحتوم الذي لا مفر منه، واختار له اليوم والمكان الذي يموت فيه، فيقول: (١١٥)

ما اعجب الحين والمقدار انهما ما اختل حكمهما يوما ولا اختلفا
كل الى اجل يجري فمصرعه ويومه في كتاب الله قد عرفا

ومن قضى الله في ارض منيته ينخ بها راضيا او كارها شنقا
هي المقادير والاحكام قد سبقت فضل من ظن ما يأتي به آنفا

علم تفرد علام الغيوب به ايقبل العقل ان يبديه منكشفا
والله ما علمت نفس لما خلقت ولا درى بمكان الحتف من حتفا

ويرى ابو حيان الاندلسي ان جهله لحقيقة الموت راحة لنفسه،فيقول: (١١٦)

خلقنا لأمر لو علمنا حقيقة له ما احب المرء ليلى ولا لبنى
ولكن جهلنا فاستراحت نفوسنا وما تلك الا راحة تعقب الحزنا

وعندما يتوقع الوزير لسان الدين بن الخطيب الموت يبكي نفسه، ويقرر بايمان حقيقي، وعاطفة صادقة، حتمية الموت وفناء الجميع، فيقول: (١١٧)

تعدنا وان جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت
و أنفاسنا سكنت دفعه كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا غربت،فناحت علينا البيوت

فقل للعدى: ذهب ابن الخطيـــب وفات، ومن لا يفوت؟

فمن كان يفرح منكم له فقل: يفرح اليوم من لايموت

ولما ادرك الشاعر عبد الكريم القيسي بأن الموت قضاء مقدر امضى حكمه الخالق سبحانه وتعالى في البشر، وهو حتم يستوي عنده الجميع، ولا مهرب منه ولا راد له مهما اوتي الانسان من قوة و بأس، راح يدعو الانسان الى ان يسلم امره لله ويرضى بما قضى وقدر الله تعالى ويحتمله: (١١٨)

هو القضاء اذا يمضي مُقّدره لم يستطع رَّده ذو الحول والحيل
والموت حتم على الاحياء كلهم قضى به خالق الانسان من عجل
فمن يقدر عليه الموت في صغر لحد عمر كبير السن لم يصل
ومن يكن عمره المكتوب ذا قصر لم يلغه الدهر ممتد و لم يطل

فسلم الامر لله العظيم كما امرت وارض بما امضاه واحتمل

اجمالا نقول : نظر شعراء الاندلس الى الموت نظرات متفاوته الا انها في كل الاحوال تصب في مجرى واحد.

فبعضهم ارتشف من فيض القرآن الكريم وما فيه من تصوير لحقيقة الموت وتيقنوا –كما تيقنا– ان القرآن الكريم وحي خالد سواء أكان لهم ام لغيرهم ما دام لسان يلهج بالشعر وقلب يخفق بالحب وفكر ينبض بالحياة، فكان تصوير القرأن الكريم للموت ديدنا لهم في اشعارهم على مختلف مراحل حياتهم، فأحدث تغييرا كبيرا في نظراتهم نحو الموت بفضل كثير من الافكار التي بثها، وبخاصة ما يتعلق بحتمية الموت وتوقيته، وبانه يقضي على كل كائن، ويتفرد الله بالبقاء والخلود.

والبعض الاخر قوض في ايام حياته افكاره الهدامة واعتنق فكرة الموت كما هي على حقيقتها لما احسوا انطفاء الشعاع الاخير من الاشعة الاتية من عهد الصبا والشباب.

وآخرون رأوا ان دائرة حياة الروح وميدانها اعظم واوسع بكثير من دائرة حياة الجسم،

فخاطبوا في اشعارهم المرثية الروح وتنحوا عن العقل والعاطفة، فأحبوا الموت لانه يحطم اصفاد اغلال الجسد وينقل الروح الى عالمها الانسي، فنقشوا حب الموت على جدران قلوبهم وجعلوها سلوى خلواتهم.

الا ان هؤلاء جميعا دعوا الى الاستعداد لذلك الزائر المريب والاتعاظ بما فعله بالسابقين منهم، فقد سجلوا في اشعارهم فعل الموت بالحياة في الوانها المختلفة وتاريخ الامم في اطوارها المتباينة، ففي الموت اصلاح لما في الطبع من عوج وما في العقول من التواء، وتيقن هؤلاء الشعراء من حقيقة صافية لا تنفد على كثرة الانفاق ولا تبلى حدتها بكر الغداة ومر العشي فحواها انه لا سبيل لايقاف شبح الموت لانه امر مقدر بمشيئة الخالق تبارك وتعالى.

وعلى الرغم من ادراك الشعراء لهذه الحقيقة الا انهم قد كرهوا الموت وذموه لانه يدك قواعدهم ويقوض اركانهم.

الهوامش :-

(١)ينظر: تاريخ الفكر العربي: ٦٢٩،٦١٣.

(٢)ينظر : التصوف الاسلامي العربي، عبد اللطيف الطيباوي، مصر، دار العصر للطبع والنشر، ١٩٢٨م ،١٤٣.

(٣)ينظر: عشرقمم في الادب العربي ، ممدوح حقي ، ط٤، الدار البيضاء، ١٩٧٦م ، ٣٥٠.

(٤)رثاء الابناء في الشعر العربي، د.مخيمر صالح موسى يحيى ، الاردن ، مكتبة المنار الزرقاء ،(د.ت)،١٥٠.

(٥)ينظر: الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس ،٣٧٢.

(٦)منهاج البلغاء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، المطبعة الرسمية، ١٩٦٦م، ٣٤١..

(٧)قواعد النقد الادبي، لاسل ابر كرميي، نقله الى العربية محمد عوض محمد، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م،٤٧.

(٨)النقد الادبي الحديث، د.محمد غنيمي هلال،ط٣،القاهرة ، دار النهضة العربية، ١٩٦٤م،٣٩٢.

(٩)فن الشعر، ارسطو طاليس، ترجمه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الثقافة ١٩٧٣م،٤٨.

(١٠) ينظر: القيم الروحية:٢٦٢.

(١١) ينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوري، بغداد دار التربية ١٩٧٢م،٣٠١.

(١٢) ينظر : الحكمة في الاداب القديمة، علي الزبيدي،مجلة اداب المستنصرية، ع١٧، ١٩٨٩م، ١٩.

(١٣) ديوان يحيى بن حكم الغزال : ١١٢-١١٣.

* م.ن: ٨٥-٨٦.

(١٤) تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة: ١٩٦.

(١٥) ديوان ابن عبدربه: ٦٠.

(١٦) ديوان ابن عبد ربه : ٢٥.

(١٧) م.ن : ١٥٢.

(١٨) احمد بن فرج ، نزهة جعفر حسن ، مجلة اداب المستنصرية، ع١٦ ، ١٩٨٦م، ٢٢٧.

(١٩) ديوان ابن شهيد الاندلسي: ١٣٣.

(٢٠) م.ن :٩١.

(٢١) ينظر: ديوان ابن الشهيد: ١١٣-١١٤.

(٢٢) م.ن : ١٣٣.

(٢٣) ديوان ابي اسحاق الالبيري الاندلسي : ٤٣.

(٢٤) م.ن:١٤١.

(٢٥) م.ن: ٥٧.

(٢٦) ديوان ابن حداد الاندلسي (ت ٤٨٠هـ) جمعه وحققه وشرحه وقدم له د.يوسف علي طويل ، ط١،بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٩٠م، ٢٨١،

(٢٧) الشاعر الاندلسي السميسر الالبيري حياته وشعره:٢٩٩.

(٢٨) شعر ابن وهبون المرسي:١٠٤.

(٢٩) شعر ابن وهبون المرسي :١٢٦.

(٣٠) ينظر: قضايا اندلسية، بدير متولي حميد، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٦٤م، ٣٢٧-٣٢٨ ، ملامح الشعر الاندلسي: ٢٨٥، دراسات اندلسية:٢٧٤. ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري، اعداد وتحقيق وتأليف سليم التنير،ط١،دمشق،دار الكتاب العربي،١٩٨٨م،١٩٣-١٥٢.

(٣١) ديوان عبد المجيد بن عبدون اليابري: ١٤٠.

(٣٢) ينظر: ابن السيد البطليوسي :٩٢.

(٣٣) م.ن: ١٠٢،١٠٠،٩٧.

(٣٤) م.ن: ١٠٣.

(٣٥) ديوان الاعمى التطيلي: ٧٦ وينظر: ٤٦، ٨٠، ٩٦.

(٣٦) ديوان ابن خفاجة : ١٥٧.

(٣٧) م.ن: ٢٢١ وينظر ١٠٥.

(٣٨) ديوان ابن خفاجة:١٦٤.

(٣٩) ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس: ٢٢٥.

(٤٠) ابن بقي القرطبي حياته وشعره، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، مجلة المورد م٧ ،ع١، بغداد، ١٩٧٨م،٤٨.

(٤١) شعر ابن مرج الكحل، جمع وتوثيق وتقديم، مصطفى الغديري، مجلة كلية الاداب، وجده ع٥، ١٩٥٥م، ٤٥.

(٤٢) شعر ابي البقاء الرندي : ٧٣٥.

(٤٣) م.ن : ٦٨٧.

(٤٤) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ،حققه وقدم له ووضع فهرسه عبد الله كنون، ط٢ القاهرة، الفجالة ،دار الجيل للطباعة ١٩٦٥م، ١٩٥.

(٤٥) شعر ابي عامر بن مسلمة، صنعة هدى شوكة بنهام، مجلة المورد، م١٨ ، ع٢، ١٩٨٩، ١٥٥.

(٤٦) ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٦، ١٧٣.

(*) شنب: ماء ورقة يجري على ثغر ،وقيل: رقة وبرد وعذوبة،وقيل الشنب نقط بياض الاسنان،ينظر:لسان العرب:١/٤٨٨، مادة(شنب).

(**) الاشر: تحزيز الاسنان:ينظر : لسان العرب: ٥/٧٩، مادة (أشر).

(٤٧) ديوان ابن خفاجة:١٣٥ ، وينظر: ديوان ابي الربيع سليمان بن عبد الله الموحد، تحقيق محمد تاويت الطنحي، واخرين، تطوان،المغرب،المطبعة المهدية،(د.ت) ١٠٨.

(٤٨) ديوان ابن زيدون: ٣١٢-٣١٣.

(٤٩) م.ن : ٢٧٧.

(٥٠) ملك اشبيلية الشاعر المعتمد بن عباد : ١٦٠.

(٥١) ديوان ابن حمديس : ٨٣.

(٥٢) ديوان ابن حمديس: ١٨٧.

(٥٣) م.ن : ٤٣٩.

(٥٤) م.ن: ٣٦١.

(٥٥) ديوان ابن حمديس : ٥٥٥.

(٥٦) ابن زهر الحفيد الاندلسي حياته ، شعره، موشحاته، د. محمد مجيد السعيد ، المورد، م٩ ، ع٢، ١٩٨٠م، ١٥.

(٥٧) م.ن: ١٦.

(٥٨) مع شعراء الاندلس والمتنبي :٢٥.

(٥٩) الموت والخلود في الاديان المختلفة، د. عزت زكي، القاهرة، دار النشر للكنيسة الاسقفية، ١٩٧٢م، ٥٢.

(٦٠) التيار الاسلامي في الشعر العباسي الاول، مجاهد مصطفى بهجت، بغداد، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٢م، ٥٣٠.

(٦١) مشكلة الانسان، زكريا ابراهيم، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٩م، ١٢١.

(٦٢) الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م ، ١٧٣.

(٦٣) ينظر: القيم الروحية: ١٥٣-١٦٣، ٣٤٨-٣٦٢.

(٦٤) م.ن: ١٦٣.

(٦٥) م.ن: ١٦٣.

(٦٦) ينظر: القيم الروحية : ٣٥٨.

(٦٧) ينظر: القيم الروحية: ١٥٧.

(٦٨) م.ن: ٣٤٩.

(٦٩) اشبيلية في القرن الخامس الهجري، د.صلاح خالص، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥م ،١٩.

(٧٠) ديوان ابن عبد ربه: ٥٢ ، وينظر :ديوان ابن هاني : ١٢٢ ،١٢٨.

(٧١) م.ن : ٧٧-٧٨.

(٧٢) ديوان ابن دراج ، حققه وعلق عليه وقدم له، د.محمود علي مكي، ط٢، بيروت، المكتب الاسلامي، ١٣٨٩هـ ، ٩٨-٩٩ وينظر: ديوان ابن هاني: ١٢٢-١٢٨.

(٧٣) ديوان ابن دراج : ٢٦٦-٢٦٧ ، وينظر : ديوان ابراهيم بن سهل الاشبيلي ، حققه ورتبه د. محمد فرج دغيم، ط١، بيروت، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٨م، ٣٠٩.

(٧٤) شعر ابن حزم الاندلسي : م٢٨ ، ع١، ٢٠٠٠م ق٥ ، ٩٧.

(٧٥) ديوان ابي اسحاق الالبيري: ١١٨.

(٧٦) م.ن: ٥٧.

(٧٧) م.ن: ١١٣.

(٧٨) م.ن: ٢٦،٥٧.

(٧٩) م.ن: ٥٧ وينظر :٣٧، ديوان ابن الجنان الانصاري: ١٣٤-١٣٥.

(٨٠) ديوان ابن زيدون : ٥٦٠.

(٨١) م.ن: ٥٦٤.

(٨٢) ديوان ابن زيدون: ٥٣٧، وينظر: ٥٢٧، ٥٤٠.

(٨٣) م.ن: ٥٤٠.

(٨٤) م.ن: ٥٢٨.

(٨٥) ديوان ابن حداد الاندلسي: ٢٨٠-٢٨١.

(٨٦) ابن وهبون المرسي: ١٠٣-١٠٤.

(٨٧) ينظر: المعتمد بن عباد الاشبيلي: دراسة ادبية تاريخية، د.صلاح خالص، بغداد، دار الاخبار ١٩٥٨م، ١٩٠.

(٨٨) ملك اشبيلية الشاعر المعتمد بن عباد: ٣٢٦.

(٨٩) م.ن: ٣١٥.

(٩٠) روضة المحاسن وعمدة المحاسن: ١٧٦. ينظر: شعر ابي البقاء الرندي: ٦٨٧.

(٩١) ديوان ابي حيان الاندلسي: ١٥٣.

(٩٢) ديوان عبد الكريم القيسي الاندلسي، تحقيق د.جمعة شيخة، د.محمد الهادي الطرابلسي تونس، بيت الحكمة، المؤسسة الوطنية، للترجمة والتحقيق، ١٩٨٨م، ١٩٧.

(٩٣) م.ن: ١٩٥.

(٩٤) شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق د.محمد مجيد السعيد، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر١٩٧٧م،٣٩.

(٩٥) ديوان ابي البقاء الرندي: ٧٣٦، وينظر: ٦٩١، ٧٠٦.

(٩٦) ابن صرة الاندلسي حياته وشعره :٨٩.

(٩٧) ينظر : ادب المغاربه والاندلسيين: ١٠٥.

(٩٨) ديوان الاعمى التطيلي : ٤٣.

(٩٩) ديوان ابن حمديس: ٥٢٢.

(١٠٠) م.ن: ٤٧٧-٤٧٨. وينظر: ديوان ابن خفاجة: ٢٧٥.

(١٠١) م.ن: ٢٨٣.

(١٠٢) ديوان ابن حمديس:٥٢٦، وينظر: ١٢٠، ٣٦٥، ٥٢٥، ٣٩٨-٣٩٩.

(١٠٣) ديوان ابن حمديس: ٢٩٥:، وينظر: ديوان ابن خفاجة:٢٧٥.

(*) الكلب: داء يعتري الانسان من عض بعض الكلاب، فيعتريه شبه الجنون، ثم يموت من شدة العطش، ينظر:لسان العرب: ٢١٨/٢، مادة (كلب).

(١٠٤) ينظر: العرب في صقلية دراسة في التاريخ والادب، د.احسان عباس: مصر،دار المعارف، ١٩٥٩ م، ٢٦٢.

(١٠٥) ديوان ابن حمديس: ٣٦٤.

(١٠٦) م.ن: ٥٥٥.

(١٠٧) ديوان الحكيم ابي الصلت الداني: ٥٠.

(**) شباها: من الشباة: وهي الابرة العقرب، اومن الشبو، وهو الاذى، ينظر:لسان العرب:١٤٧/١٩، مادة(شيو)

(***) والت: طلبت النجاة، ينظر: لسان العرب:٢٤٠/١٤ ، مادة(وأل).

(١٠٨) ديوان ابن الزقاق البلنسي: ١٥٦.

(١٠٩) م.ن: ٢٠٥.

(١١٠) ديوان ابن خفاجة: ٣١٠.

(١١١) م.ن: ٣٠٩.

(١١٢) ديوان ابن خفاجة: ٢٣٢.

(١١٣) ديوان ابن العربي: ١٥٤.

(١١٤) ديوان ابن العربي: ١٤٢.

(١١٥) ديوان ابن الجنان الانصاري: ١٢٢.

(١١٦) ديوان ابي حيان الاندلسي: ٣٩١.

(١١٧) (عن) تاريخ الفكر الاندلسي: ١٣٩. (لم اقف على الابيات في الديوان).

(١١٨) ديوان عبد الكريم القيسي الاندلسي: ٤٢١، وينظر : ٣٧٥، ٤٠٣.

قائمة المصادر

١- القرآن الكريم.

٢- ابن السيد البطليوسي ، صاحب ابو جناح ، مجلة المورد . م ٦ ع١ لسنة ١٩٧٧,

٣- ابن بقي القرطبي حياته وشعره جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد م ٧ ع١ لسنة ١٩٧٨.

*- ابن زهر الحفيد الاندلسي حياته ،موشحاته، محمد مجيد السعيد، م ٩ ع٢ لسنة ١٩٨٠,

٤- ابن صارة الاندلسي حياته وشعره، مصطفى عوض كريم ، مصر، ١٩٨٥,

٥- احمد بن فرج، نزهة جعفر حسن، مجلة اداب المستنصرية ع١٦ لسنة ١٩٨٦,

٦- ادب المغاربة والاندلسيين، محمد رضا الشبيبي، مطبعة الرسالة ، ١٩٦١,

٧- اشبيلية في القرن الخامس الهجري، صلاح خالص ،بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٥,

٨- تاريخ الادب الاندلسي- عصر سيادة قرطبة، احسان عباس، بيروت، دار الثقافة،١٩٧٨,

٩- تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون، عمر فروخ، بيروت، دار العلم، ١٩٧٩,

١٠- التصوف الاسلامي العربي، عبد اللطيف الطيباوي، مصر ، دار العصر للطباعة والنشر،١٩٢٨,

١١- التيار الاسلامي في الشعر العباسي الاول، مجاهد مصطفى بهجت ،بغداد، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ١٩٨٢,

١٢- الحكمة في الاداب القديمة، علي الزبيدي، مجلة أداب المستنصرية ع ١٧ لسنة ١٩٨٩,

١٣- ديوان ابراهيم بن سهل الاشبيلي، حققه ورتبه محمد فرج دغيم، بيروت، دار الغرب الاسلامي ، ١٩٩٠,

١٤- ديوان ابن الجنان الانصاري، جمع وتحقيق ودراسة منجد كصطفى بهجت، الموصل ، مطابع التعليم العالي ،,١٩٩٠

١٥- ديوان ابن حداد الاندلسي، جمع وتحقيق يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، ,١٩٩٠

١٦- ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له احسان عباس ، بيروت، دار صادر،,١٩١٠

١٧- ديوان ابن خفاجة ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، القاهرة، دار المعارف،,١٩٦٠

١٨- ديوان ابن دراج، تحقيق محمود علي مكي، بيروت، المكتب الاسلامي، ,١٣٨٩

١٩- ديوان ابن الزقاق البلنسي، تحقيق عفيفة محمود ديراني، بيروت، دار الثقافة، ,١٩٦٥

٢٠- ديوان ابن زيدون ورسائله، تحقيق علي عبد العظيم،القاهرة،دار نهضة مصر، ,١٩٥٧

٢١- ديوان ابن شهيد الاندلسي، جمع وتحقيق يعقوب زكي،القاهرة،دار الكاتب العربي د.ت.

٢٢- ديوان ابن عبد ربه، جمع وتحقيق محمد رضوان الداية، بيروت،مؤسسة الرسالة،,١٩٧٩

٢٣- ديوان ابن عربي ، طبعة بولاق، ,١٨٥٥

٢٤- ديوان ابن هاني، تحقيق كرم البستاني، بيروت، دار صادر،,١٩٦٤

٢٥- ديوان ابي اسحاق الالبيري الاندلسي، تحقيق وشرح محمد رضوان الرايه، بيروت، دار الفكر المعاصر، ,١٩٩١

٢٦- ديوان ابي حيان الاندلسي، تحقيق احمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد، مطبعة العاني،,١٩٦٩

٢٧- ديوان الاعمى التطيلي، تحقيق احسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ,١٩٦٣

٢٨- ديوان الحكيم ابي الصلت الداني، جمع وتحقيق محمد المرزوقي، تونس، دار الكتب الشرقية،,١٩٧٤

٢٩- ديوان عبد الكريم القيسي، تحقيق جمعة شيحة، محمد الهادي الطرابلسي، تونس، بيت الحكمة، ,١٩٨٨

٣٠- ديوان عبد المجيد بن عبدالمجيد بن عبدون اليابري، اعداد وتحقيق، سليم التنير،دمشق، دار الكتاب العربي، ,١٩٨٨

٣١- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، حققه وقدم له عبد الله كنون، القاهرة، دار الجيل للطباعة، ,١٩٦٥

٣٢- ديوان يحيى ابن حكم الغزال، تحقيق محمد رضوان الرايه، ابو ظبي، دار قتيبة، ,١٩٨٢

٣٣- رثاء الابناء في الادب العربي، مخيمر صالح موسى يحيى، الاردن ، مكتبة المنار، د.ت.

٣٤- روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ديوان ابي بكر يحيى بن محمدالمعروف(الجزار السرقسطي) تحقيق منجد مصطفى بهجت، مطبعة المجمع العلمي العراقي،,١٩٨٨

٣٥- الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ,١٩٥٥

٣٦- الشاعر الاندلسي السميسر الاليبيري حياته وشعره، محمد شهاب العاني ، مجلة اداب المستنصرية ، ع ٢٦ لسنة ,١٩٩٥

٣٧- شعر ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، جامعة الموصل، ,١٩٧٧

٣٨- شعر ابن البقاء الرندي جمع وتحقيق انقاذ عطا الله العاني، مجلة الاستاذ ع ٢٥ لسنة ,٢٠٠١

٣٩- شعر ابن حزم الاندلسي، جمع عبد العزيز ابراهيم مجلة المورد، ١٩٩٨- ,١٩٩٩

٤٠- شعر ابي عامر بن مسلمة، صنعة هدى شوكة بهنام، مجلة المورد م ١٨ ع٢ لسنة ١٩٨٩,

٤١- شعر ابن مرج الكحل، جمع وتوثيق وتقديم مصطفى الغديري، مجلة كلية الاداب وجده ع٥ لسنة ١٩٥٥,

٤٢- شعر ابن وهبون المرسي، جمع وتحقيق ودراسة سمر صبحي احمد ،رسالة ماجستير جامعة الموصل –كلية الاداب-,١٩٨٩

٤٣- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، بغداد، دار التربية، ١٩٧٢,

٤٤- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس، محمد مجيد السعيد، بغداد دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠,

٤٥- العرف في صقلية دراسة في التاريخ والادب، احسان عباس، مصر، دار المعارف، ١٩٥٩,

٤٦- عشر قمم في الادب العربي، ممدوح حقي، ط ٤ ، الدار البيضاء، ١٩٧٦,

٤٧- المعتمد بن عباد الاشبيلي دراسة ادبية تاريخية، صلاح خالص، بغداد، دار الاخبار، ١٩٥٨,

٤٨- فن الشعر ، ارسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، بيروت، دار الثقافة،,١٩٧٣

٤٩- قضايا اندلسية، بدير متولي، القاهرة، دار المعرفة، ١٩٦٤,

٥٠- قواعد النقد الادبي، لاسل ابركرميي، ترجمة محمد عوض محمد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٣٦,

٥١- القيمة الروحية من الشعر العربي قديمه وحديثه، ثريا عبد الفتاح ملحس، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت.

٥٢- مشكلة الانسان، زكريا ابراهيم ، القاهرة، مكتبة مصر،,١٩٥٩

٥٣- مع شعراء الاندلس والمتنبي، اميليو غرسيه غومث، ترجمة الطاهر احمد مكي، القاهرة ، مطابع العرب،,١٩٧٤

٥٤- ملامح الشعر الاندلسي، عمر الدقاق، بيروت، دار المشرق العربي،د.ت.

٥٥- ملك اشبيلية الشاعر المعتمد بن عباد، دراسة وتحقيق، رضا السويسي، تونس، دار بو سلامة للنشر ,١٩٨٥

٥٦- مناهج البلغاء، حازم القرطاجي، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، المجلة الرسمية،,١٩٦٦

٥٧- الموت والخلود في الاديان المختلفة، عزت زكي، القاهرة، دار النشركنيسة ,١٩٧٢

٥٨- النقد الادبي الحديث، محمد غنيمي هلال، ط٣ ، القاهرة، دار النهضة العربية،١٩٦٤.